

امان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لأهالي مكة يوم الفتح

(دراسة في اشكالية دار ابو سفيان)

أ.د. رحيم حلو محمد البهادلي

كلية التربية بنات - جامعة البصرة

الملخص:

يتناول هذا البحث المقتضب دراسة اشكالية طالما عدت حقيقة على مر العصور الاسلامية تمثلت في منح الامان من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) للمشركين لمجرد دخولهم دار أبي سفيان بن حرب في اثناء فتح مكة عام ٨ هجرية ، اذ اتضح من خلال البحث ان هناك اشكالية كبيرة حول قول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): "من دخل دار ابو سفيان فهو امن " والذي فهم من قبل الجميع ان المعني به هو ابو سفيان بن حرب الاموي ، وهو ذلك الشخص الذي عرفناه بانه كبير القوم المشركين الذي ذاق منه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) والمسلمين الامرين سواء في الحقبة المكية أو المدنية ، ليتضح لنا بعد الدراسة والتدقيق والتمعن في مجريات الاحداث أن الشخص المعني هو ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، لنكشف زيف تلك المقولة التي غدت عرفا تاريخيا وحقيقة تاريخية سلم بها الجميع على مر العصور التاريخية .

**The Security of the Prophet of Allah (peace be upon him) for the
People of Mecca on the Day of Conquest**

(A study in the problematic of Dar Abu Sufyan)

Prof. Rahim Hillo Mohammed

College of Education for Women – University of Basrh

Abstract:

This brief research deals with the study of the problematic of what was considered a reality throughout the Islamic ages, which is the granting of safety by the Messenger of God (PBUH) to the evil-doers just for entering the house of Abu Sufyan bin Harb during the conquest of Mecca in the year 8 AH. God (peace be upon him): (From Abu Sufyan's house, he is safe), which is understood by everyone that what is meant by him is Abu Sufyan bin Harb the Umayyad, and he is that person whom we knew as the chief of the polytheistic people from whom the Messenger of God (peace be upon him) and the two Muslims tasted, both in the Meccan period And the civil period, so that it becomes clear to us, after studying and examining the course of events, that the person in question is Abu Sufyan bin Al-Harith bin Abdul Muttalib, cousin of the Messenger of God (peace be upon him), to reveal the falsehood of that saying, which has become a historical custom and a historical fact that everyone has recognized throughout the historical ages.

مضمون البحث:

بعد هجرة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الى المدينة المنورة اقام هناك دولة اسلامية محكمة الاساس متينة البنیان ، كان اساس الحكم فيها مبنيا في ضوء النبوة والارتباط بالله عز وجل ارتباطا تاما ، فضلا عن اساس العامل السياسي الذي كان لا بد منه في التعامل مع الدول والامبراطوريات المجاورة ، فكان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بالإضافة الى كونه نبيا مرسلا فقد كان ايضا حاكما سياسيا لدولة جديدة نشأت تحت راية دين الله الاسلام ، وكانت تلك المدينة - يثرب - هي النواة الاولى للحكم الاسلامي ، ومنها بدأت عمليات نشر الدين الاسلامي وترسيخ قواعده على وجه تام في ايام رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، بحيث نستطيع القول ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) كان مكتفيا الى حد ما بهذا النصر الذي حققه يومذاك بالهجرة الى المدينة واستقراره فيها هو واصحابه من المهاجرين والانصار .

ومع ذلك النصر الكبير كانت انظار رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) متوجهة نحو مكة حيث الكعبة بيت الله الحرام ، ومركز استقطاب العرب من كافة ارجاء شبه الجزيرة العربية منذ اقدم الازمان ، لأنه كان يعي تماما ان الاسلام لا يمكن ان يحقق نصرا تاما ونهائيا الا بفتح مكة، وذلك لان في مكة الكعبة المشرفة بيت الله الحرام التي بناها سيدنا ابراهيم (عليه السلام) في حقبة سابقة كبيرة قبل الاسلام ، لذا فإن مكانة مكة وفق ذلك المعيار لا يمكن تجاهلها سيما وان العرب عامة كانت تنظر بقدسية كبيرة لمكة للسبب المشار اليه في اعلاه ، فهي بدون شك كانت محج العرب من فترات كبيرة قبل الاسلام ، إذ كان العرب يحجون اليها في كل عام منذ زمن سيدنا ابراهيم (عليه السلام) كونها بيت الله الحرام ، وكان ذلك عرفا وتقليدا راسخا لدى القبائل العربية ، اما ما حدث من دخول الاصنام والاوثان الى الكعبة فهو يعود الى فترة قريبة قبيل الاسلام .

بيد ان بحثنا هذا لا يسلط الضوء على عملية الفتح وامان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لمشركي قريش بشكل عام ، بل ارتئينا ان يكون هذا البحث حول اشكالية طالما اراها تتردد على السنة العامة والخاصة من قراء او باحثين ومن مختلف الطوائف الاسلامية ، وهذه الاشكالية هي حول ماهية الشخص الذي قال منادي رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) من

امان رسول الله (ص) للأهالي مكة يوم الفتح (وراسة في شكالية وار ابو سفيان) أ.و. رحيم جلد محمد البهاولي

دخل داره فهو امن بقوله : "من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار ابو سفيان فهو آمن ،
ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن" (١) .

وفي رواية اخرى ان العباس بن عبد المطلب جاء بابي سفيان بن حرب الاموي في اثناء
الفتح بعد أن اعلن اسلامه الى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قائلاً له: "يا رسول الله ، إن
ابا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فأجعل له شيئاً" (٢) ، فقال رسول الله (صلى الله عليه واله
وسلم): "من دخل دار ابي سفيان فهو آمن" ، فقال ابو سفيان: "وما تسع داري؟" ، فقال رسول
الله: "ومن دخل الكعبة فهو آمن" ، فقال ابو سفيان: "وما تسع الكعبة؟" ، فقال رسول الله (صلى
الله عليه واله وسلم): "ومن دخل المسجد فهو آمن" ، فقال ابو سفيان: "وما يسع المسجد؟" ،
فقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): "ومن أغلق عليه بابه فهو امن" ، فقال ابو سفيان: "
هذه واسعة" (٣) .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو كيف برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يعطي الامان
للمشركين بدخول دار أبي سفيان بن حرب الاموي ، وهو ذلك الرجل المشرك ، رأس الفتن
والنفاق والمكائد والدسائس ، وقد قاتله في معارك عدة وقتل من المسلمين ما قتل ، وعذب من
فقرائهم ما عذب ، فهل وصل الحال برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ان يتسامح مع ألد
أعداء الله والاسلام ؟ ام ان المقصود به رجلا اخر وقد وقع التصحيف او الدس فيما وصلنا من
مرويات تاريخية بذات الشأن؟ .

ثم هل ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) جاء الى مكة فاتحاً حتى ينتقم من اهلها
ويوغل في قتل رجالها الذين وقفوا بوجهه ومنعوا الناس من اعتناق الدين الاسلامي ، ام انه جاء
ليفتح المدينة المقدسة التي يوجد فيها بيت الله الحرام ، ولمكانتها الدينية المقدسة لدى عموم
العرب وقتذاك ، فضلاً عن انه كان يعلم تماماً بأن الاسلام لا تقوم له قائمة ومكة خارجة عن
سلطته الدينية والسياسية ؟ .

ولغرض الوقوف على حقيقة الامر لا بد لنا من تسليط بصيص من الضوء على سياسة
رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) تجاه عامة الناس المسلمين وغير المسلمين ، فقد عرف
عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) انه كان رجلاً متسامحاً الى اقصى حدود التسامح ،
وقد اكد القرآن الكريم في العديد من آياته الكريمة على ضرورة التسامح منها قوله تعالى : "ود

إمان رسول الله (ص) للأهالي مكة يوم الفتح (وراسة في اشكالية وار (ابوسفیان)

أ.و. رحيم جلدو محمد البهاولي

كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فأعفوا وأصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير" (٤) ، وقوله تعالى: "ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم" (٥).
وإذا كان في تينيك الآيتين ما يشير الى انهما نزلتا في اهل الكتاب ، فإن العقلية التي كان يتعامل بها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) كانت مبنية على ان الدين الاسلامي لا يمكن نشره بقوة السيف بل هو عقيدة لا يمكن تطبيقها الى بالإيمان ، لذلك ترك رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) جميع من لم يؤمنوا الى عامل الزمن ، فليس تفكير رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) هو فرض الاسلام بقدر ما يؤمن الطريق مستقبلا الى خضوع المجتمعات الى دين الله الاسلام مرهون بعامل الزمن ، فهو كفيل باعتاقهم الاسلام بمرور الايام رحمة لهم من الله عز وجل وهداية لهم .

وعلى ذلك لم يكن من حق المسلمين نشر الاسلام بقوة السيف ، وهذا ما اشار اليه الباري عز وجل بقوله تعالى: "ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" (٦) ، وقوله تعالى: "لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم" (٧) .

من جميع ذلك نستشف ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) كان يهدف من فتح مكة اخضاعها لدولة الاسلام اكثر مما يهدف الى تصفية حساباته مع كبار المشركين ، لان بفتح مكة سيوفر له او لمن بعده نشر الدين الاسلامي بحرية تامة وسلاسة كبيرة هذا من جانب ، ومن جانب اخر ليعبر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عن صفة التسامح حتى مع المخالفين له ، وذلك الامر لم يكن لضعف في رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أو وهن فيه، إنما كان لغايات عدة ، إذ أن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) أراد في التسامح استطابة نفوس أصحابه والمخالفين له ، وفي ذلك إصلاح وميل إليه وخضوع ، وان يكون التسامح في الحرب والسلم سنة على الناس من بعده على أن لا يكون منهم حاكم ظالم مستبد في رأيه ، كما أن ذلك هو أدب الله به نبيه وفيه مثالٌ حيٌّ لسائر الملوك والأمراء والسلاطين وغيرهم من أصحاب الشأن والسلطان .

امان رسول الله (ص) للأهالي مكة يوم الفتح (وراسة في اشكالية وار ابو سفيان) أ.و. رحيم جلدو محمد البهاولي

وبعد ذلك نقول ، إن كان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) متسامحا الى ذلك الحد فهل تسامحه ذلك يجعله يثق ثقة كبيرة بالذين وقفوا في وجهه وعرقلوا عملية نشر الدين الاسلامي وقتلوا ما قتلوا من المسلمين الاوائل في المعارك التاريخية الكبرى كمعارك بدر ، واحد ، والخندق، وغيرها ؟ والجواب في هذا السياق يكون حتما بالنفي ، فحري بأي انسان دارك وعاقل ان لا يغفل ذلك ، فالتسامح شيء والثقة شيء اخر .

ووفق تلك النظرية ففي قول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): "من دخل دار ابو سفيان فو امن " فيه اشكال كبير ، فإن قبلناه فهذا يعني انه اعطاه كرامة كبيرة ومنزلة عظمى وكان ابو سفيان سيبدل الشيء الكثير في اعلاء كلمة الله ونشر الدين الاسلامي وسيكون من قاداته الذين لهم شأن كبير ، وهذا يتنافى مع حقيقة طبيعة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الذي كان يعرف ما ستؤول اليه الاحداث مستقبلا ، من خذلان ابي سفيان للمسلمين فيما بعد هو واولاده واحفاده ، كقتال معاوية بن ابي سفيان لأمير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، وقتال يزيد بن معاوية للإمام الحسين (عليه السلام) على سبيل المثال .

ونحن ان قبلنا تلك الرواية فهذا يتنافى مع جملة حقائق منها ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) حينما دخل مكة فاتحا لها هدر دم مجموعة من المشركين وهم كل عبد الله بن خطل ، وعبد الله بن سعد بن ابي سرح ، ومقيس بن صبابه ، والحويرث بن نقيذ ، وسارة مولاة بني عبد المطلب ، وهند بنت عتبة ، وقريبة وفرتا جاريتا ابن خطل(٨) ، وقيل هم كل من عكرمة بن ابي جهل ، وعبد الله بن خطل ، ومقيس بن صبابه ، وعبد الله بن سعد بن ابي سرح(٩)، ومهما يكن الاختلاف في بعض تلك المسميات فقد امر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بقتلهم ولو وجدوا متعلقين بأستار الكعبة قائلا: "اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة"(١٠).

وهؤلاء كانوا ممن قد اساءوا لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وللاسلام والمسلمين بصورة عامة ، فقد كان عبد الله بن خطل على سبيل المثال قد غدر بالمسلمين وقد قتل احد الانصار غدرا وفر الى مكة مرتدا عن الدين الاسلامي(١١) ، ومقيس بن صبابه الذي اسلم ثم ارتد بعد ان قتل احد المسلمين في المدينة غدرا ايضا (١٢) ، وعبد الله بن سعد بن ابي سرح الذي ارتد عن الاسلام واخذ يطعن برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) والاسلام ويتكلم بالباطل بالقرآن الكريم ويطعن في آياته ويشكك بها (١٣) ، فضلا عن الاخرين الذين كانوا ممن يؤذون رسول

إيمان رسول الله (ص) للأهالي مكة يوم الفتح (وراسة في شكالية وار ابو سفيان) أ.و. رحيم جلدو محمد البهاولي

الله (صلى الله عليه واله وسلم) بشكل او بآخر ، سيما جاريتا ابن خطل اللتان كانتا تغنيان بهجاء رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) (١٤) .

وقد اقتص المسلمون من هؤلاء بالقتل عند دخول مكة (١٥) ، ما خلا البعض منهم ممن شفَعوا فيهم مثل عبد الله بن سعد ابن ابي سرح الذي شفَع فيه عثمان بن عفان (١٦) ، لان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان ابن خالة عثمان بن عفان وابن خالته (١٧) ، واخاه بالرضاعة (١٨) ، لذلك شفَع له رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بأن عفا عنه اكراما لعثمان بن عفان ، اما البقية فقد تم تصفيتهم كما اوردنا .

واذا كان الامر كذلك لماذا لم يشمل رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ابو سفيان بن حرب بالقتل وهو كبير القوم المشركين وزعيمهم ، سيما وان ما ارتكبه من جرم بحق رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) والاسلام كان اشد واعنف من بقية القوم ، فلماذا يعفو عنه ويأمر بقتل بقية المسيئين الذين كان جرمهم اخف وطأ من جرم ابي سفيان واهون .

وواقعا فقد وردت روايات تدل على ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قد عفا عن ابي سفيان بعد أن اتى به العباس بن عبد المطلب الى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) واعلن اسلامه وطلب العفو والسماح (١٩) ، ونص تلك الرواية كما نقلها اليعقوبي في تاريخه وهو يتحدث عن فتح مكة بقوله: "خرج ابو سفيان بن حرب يتجسس الاخبار ومعه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء ، وهو يقول لحكيم: ما هذه النيران؟ فقال: خزاعة احشمتها للحرب ، فقال: خزاعة اقل واذل ، وسمع العباس صوته فناداه يا ابا حنظلة، فاجابه فقال له: يا ابا الفضل ما هذا الجمع؟ قال: هذا رسول الله ، فأردفه على بقلته ولحقه عمر بن الخطاب وقال: الحمد لله الذي امكن منك بغير عهد ولا عقد، فسبقه العباس الى رسول الله فقال: يا رسول الله هذا ابو سفيان جاء ليسلم طائعا، فقال له رسول الله: قل اشهد ان لا اله الا الله واني محمد رسول الله ، فقال: اشهد ان لا اله الا الله ، وجعل يمتنع من ان يقول، وانك رسول الله، فصاح به العباس، ثم سأل العباس رسول الله ان يجعل له شرفا وقال انه يحب الشرف ، فقال رسول الله : من دخل دارك يا ابا سفيان فهو امن ، واوقفه العباس حتى رأى جند الله ، فقال له: يا ابا الفضل لقد اوتي ابن اخيك ملكا عظيما ، فقال : انه ليس بملك انما هي النبوة ، ومضى ابو سفيان مسرعا حتى دخل مكة فاخبرهم الخبر ، وقال هو اصطلام ان لم تسلموا ، وقد جعل ان من دخل داري فهو امن ،

فوثبوا عليه وقالوا : وما تسع دارك ؟ فقال : ومن اغلق بابه فهو امن ، ومن دخل المسجد فهو امن " (٢٠) .

وهذه الرواية عد العقيلي راويها من ضمن الرجال الضعفاء الذين لا يمكن الاخذ عنهم بأي حال من الاحوال ، حينما اشار الى ان ناقل الرواية هو الحكم بن عبد الملك وهو عادا اياه من الضعفاء الذين لا يمكن الاعتماد على مروياته عند اهل الحديث (٢٠) ، كما ضعف تلك الرواية الدار قطني لأنها منقولة عن طريق أبي هريرة (٢١) ، وأبو هريرة ضعف من غالبية علماء الجرح والتعديل (٢٢) .

وهذا عن طريق تضعيف سند الرواية ، اما من حيث طريق نقد المتن فهو لا يمكن قبوله في أي حال من الاحوال وللاسباب التالية ، فأولا نجد في الرواية ما يثير الاستغراب وهو من أين في مكة مسجد حتى يقول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): " ومن دخل المسجد فهو امن " (٢٣) ، اذ ليس في مكة وقتذاك سوى الكعبة بيت الله الحرام ، وليس في تراثنا العربي والاسلامي ما يشير او يومئ الى وجود مسجد خلال عملية الفتح او قبلها او بعدها بقليل ، وانما المسجد كان في المدينة المنورة وهي مقر حكم الدولة الاسلامية ، وهذا بحد ذاته يومئ الى خرافية تلك الرواية وبطلانها ، شأنها شأن الكثير من المرويات التاريخية التي لا اساس لها من الصحة التي دخلت الى حقل التدوين التاريخي بشكل أو بآخر .

وثانيا نجد في الرواية ان الذي جاء بابي سفيان الى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) هو العباس بن عبد المطلب عم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، والمعروف ان العباس بن عبد المطلب كان وقتها رجلا كافرا مشركا وقد اشترك بأغلب المعارك التاريخية ضد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) والمسلمين ، وانه اسلم في يوم الفتح (٢٤) ، اما ما قيل بأنه اسلم يوم بدر حينما وقع في الاسر (٢٥) فلا اساس له من الصحة ، ولو كان مسلما فعلا لانتقل الى المدينة منذ فترة كبيرة قبل عام الفتح لا ان يبقى في مكة حيث مقر المشركين والمنافقين ، وان كان الحال كذلك فالأنسب ان يكتفي العباس بقبول اسلامه في اثناء فتح مكة تكفيرا لما ارتكبه بحق الاسلام والمسلمين لا ان يأتي بكبير القوم المشركين شافعا له عند رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وقد عانا منه المسلمين ما عانا .

نعم قد يكون امر اسلام ابي سفيان مقبولا من حيث العقل والمنطق في هذه المدة سيما بعد أن وجد ابا سفيان ان لا طريق له للنجاة سوى الدخول في الاسلام فدخل فيه ، اما ان يعطى تلك المكانة والكرامة الكبيرة فهي اراها شخصيا رواية محرفة او موضوعة لتعطي فضلا كبيرا للأمويين او ان ترفع من شأنهم او تعطيهم الشرعية لحكم العالم الاسلامي .

وفي هذه الحال ان نفينا ونحن مطمئنون ان يكون رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قد اعطى تلك الميزة الكبيرة لابي سفيان ، فلم يبق امامنا سوى خياران ، الاول ان تكون تلك الرواية موضوعة في سلسلة المرويات التاريخية ودخلت الى حقل التدوين التاريخي في فترات متأخرة ، شأنها بذلك شأن الكثير من المرويات التاريخية المتوفرة في مصادرنا الاسلامية وليس له وجود على ارض الواقع كنوع من انواع القصص والروايات الدخيلة لسبب او لآخر ، والخيار الثاني ان يكون المقصود بابي سفيان شخصا اخر غير ذلك الرجل الاموي والد معاوية بن ابي سفيان وجد يزيد بن معاوية ، وحرف الاسم الى ابو سفيان بن حرب الاموي ، وهذا امرٌ وارد وطبيعي جدا في المدونات التاريخية بشتى اتجاهاتها المذهبية .

وبالنسبة للخيار الاول فواقعا ليس في ايدينا دليلا قاطعا يثبت ان تلك الرواية موضوعة محل شبهة من حيث المضمون لا من حيث هوية الافراد ، فالرواية وردت في العديد من المصادر الاسلامية باختلاف اشكالها وانواعها كما اوردنا ، وردت مثلا في كتب الحديث ومصادر السيرة النبوية ومعاجم التاريخ الاسلامي ومصادره فضلا عن مصادر الادب العربي ، واصبحت عرفا سائدا عند عموم المسلمين باختلاف مذاهبهم الاسلامية ، وكل من مذاهب المسلمين يتقبل تلك الرواية ويعطي مبرراته لمذهب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الى ذلك المذهب ، فمنهم من يؤمن بتلك القضية وانها كرامة كبيرة لابي سفيان ، ومنهم من يذهب الى ان تلك القضية هي جزءا من سياسته في كسب المخالفين له لتوفير جو مناسب لنشر الدين الاسلامي .

ونحن وانا كنا غير معنيين بمن يصدق تلك الرواية ويبرر لها ، فنحن بأي حال من الاحوال لا يمكن نكرانها كرواية وردت في تراثنا الاسلامي ، وان كان الحال كذلك اذا لا بد ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قصد بأبي سفيان شخصا اخر بنفس الاسم ، فانتهز الامويين تلك الفرصة ونسبوا لجدهم كنوع من انواع الكرامات التي وهبت لهم او لإعطاء الشرعية لحكمهم التعسفي الذي سلط على رقاب المسلمين سيما بعد ان اصبحوا بمواجهة العديد من المعارضين

(عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) لِأَهَالِي مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ) (وَرَأْسُهُ فِي شَكَايَةِ وَارِ (أَبُو سَفْيَانَ)
أ.و. رحيم جلد محمد البهاولي

من علويين ، وزبيرين ، وعباسيين ، وخوارج ، وموالي ، وغيرهم الكثير ، فأصبحت تلك الرواية وكأنها حقيقة معني بها ابي سفيان بن حرب ثم وجدت نفسها جاهزة للدخول الى حقل التدوين التاريخي .

بيد اني اميل الى الخيار الثاني وهو ان المقصود بتلك الرواية هو شخص اخر غير ابي سفيان بن حرب ، شخصا اخر يحمل نفس الكنية ولكنه بعيد كل البعد عن النسب الاموي ، ولست اقول ذلك القول جزافا او بدافع الانحياز ، انما ذهبت الى ذلك المذهب بعد ان وقفت على رواية تشير الى ان العباس بن عبد المطلب جاء الى رسول الله في المدينة قبيل الفتح بقليل ومعه ابن اخيه ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب لطلب الامان له وعلان اسلامه ، فأمنه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وقبل اسلامه واسلام عمه العباس بن عبد المطلب .

وتلك الرواية كما اوردها المجلسي هي : " كان العباس بن عبد المطلب خرج يتلقى رسول الله صلى الله عليه واله ومعه ابو سفيان بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ، وقد تلقاه بثنية العقاب ، ورسول الله صلى الله عليه واله في قبته وعلى حرسه يومئذ زياد بن اسيد ، فاستقبلهم زياد فقال : اما انت يا ابا الفضل فامض الى القبة ، واما انتما فارجعا ، فمضى العباس حتى دخل الى رسول الله صلى الله عليه واله فسلم عليه ، وقال : بأبي انت وامي هذا ابن عمك قد جاء تائبا ، وابن عمك ، قال : لا حاجة لي فيهما ، ان ابن عمي انتهك عرضي ، وأما ابن عمتي ، فهو الذي يقول في مكة : لن نؤمن حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ، فلما خرج كلمته ام سلمة وقالت : بأبي انت وامي ، ابن عمك قد جاء تائبا لا يكون اشقى الناس بك ، وأخي ابن عمك وصهرك فلا يكونن شقيا بك ، ونادى ابو سفيان بن الحارث النبي صلى الله عليه واله ، كن لنا كما قال العبد الصالح لا تثريب عليكم ، فدعاه وقبل منه ، ودعا عبد الله بن ابي امية فقبل منه " (٢٦) .

وتلك الحادثة كانت قبيل الفتح بقليل وبالتحديد في منطقة الابواء التي هي موضع يقع في الطريق الصاعد الى مكة من المدينة (٢٧) في اثناء خروج رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الى مكة فاتحا لها ، وقبل تحليل جزئيات تلك الرواية لا بد لنا ان نقف عند شخصية ابي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعلاقته بتلك الحادثة حتى نقف على حقيقة الشخص الذي عنى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بداره فيما يتعلق بأمر الامان .

امان رسول الله (ص) للأهالي مكة يوم الفتح (وراسة في اشكالية وار ابو سفيان)

أ.و. رحيم جلدو محمد البهاولي

فأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب كان قريبا من عمر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) اذ كان أخيه من الرضاعة فقد ارضعتها السيدة حليلة السعدية (٢٨) ، وقيل اسمه المغيرة وقيل اسمه هو كنيته (٢٩) ، ونحن وان كان لدينا تحفظ حول فيما اذا كانت امرأة اخرى قد ارضعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الا أن ذلك النص يشير الى مدى قرابة ابو سفيان بن الحارث من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وقريبا منه فضلا عن صلة القرابة والنسب بينهما ، ولكن حينما بعث رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عاداه ابو سفيان وهجاه في اكثر من قصيده فقد كان ابا سفيان بن الحارث رجلا شاعرا (٣٠) .

اسلم ابو سفيان بن الحارث عام الفتح وقد قال فيه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): " ابو سفيان من فتيان اهل الجنة " (٣١) ، وقد عد من كبار الصحابة (٣٢) ، وفعلا كان ناصحا في اسلامه ، فقد اشترك في معركة حنين وابلى بلاء حسنا في نصرة ابن عمه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وذب عنه وفداه (٣٣) ، بل وكان من الثابتين معه في حنين عندما خذله اصحابه في تلك المعركة (٣٤) .

وكان ابو سفيان بن الحارث فيه شبه من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) (٣٥) توفي ابا سفيان بن الحارث في المدينة ايام عمر بن الخطاب سنة ٢٠ هجرية وصلى عليه عمر بن الخطاب (٣٦) .

وحين التمعن في تلك النبذة المختصرة من تاريخ ابا سفيان بن الحارث نجد ان الرجل كان ابن عم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) واخاه من الرضاعة ، وكانت تجمعهم صداقة حميمية معينة قبيل الاسلام ، ثم اختلفا حينما بعث رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، ثم هداه الله للإسلام فاسلم قبيل الفتح بقليل ، وقبل رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) اسلامه ، ولم يكن الرجل من الطلقاء ، ولم يكن لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بعداوة مثل عداوة الامويين الذين كانوا يسعون لمشروع سياسي كبير وهو اقامة الدولة التي كانوا طالما يحلمون ، لذلك من الانسب ان نقول ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال مقولته: "من دخل دار ابو سفيان فهو امن " كان يعني به ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وليس ابا سفيان بن حرب .

امان رسول الله (ص) للأهالي مكة يوم الفتح (وراسة في شكالية وار ابو سفيان)
أ.و. رحيم جلو محمد البهاولي

ونحن وان كنا لا نملك دليلا قاطعا على ذلك بل ان مطلوب العقل والمنطق يشير الى ذلك سيما ونحن نجد ان في نفس الفترة التي اشارة الى ذهاب ابي سفيان بن حرب لطلب الامان من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قبيل الفتح بقليل ، نجد ان المصادر الاسلامية تشير الى ذهاب ابو سفيان بن الحارث الى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قبيل الفتح ايضا ، فربما او يقينا ان القصة حرفت الى ابو سفيان بن حرب حتى اصبح وكأنه المقصود بتلك القصة ، فأصبحت وكأنها حقيقة على مر العصور التاريخية .

هوامش البحث ومصادره :

- ١- زكريا الانصاري : فتح الوهاب بشرح منهاج الطلاب ، (ط ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٨ هـ) ، ٢ / ٣٠٦ .
- ٢- ابن هشام : السيرة النبوية ، (تحقيق : سهيل زكار ، ط ١ ، دار الفكر - بيروت ، ١٩٩٢ م) ، ٤ / ٨٦٢ .
- ٣- ابن كثير : السيرة النبوية ، (تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، ط ١ ، دار المعرفة - بيروت / ١٣٩٦ هـ) ، ٣ / ٥٥٢ .
- ٤- سورة البقرة ، الآية ١٠٩ .
- ٥- سورة فصلت ، الآية ٣٤ .
- ٦- سورة يونس ، الآية ٩٩ .
- ٧- سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ .
- ٨- اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، (دار صادر - بيروت ، د . ت) ، ٢ / ٥٩ - ٦٠ .
- ٩- ابن كثير : البداية والنهاية ، (تحقيق : علي شيري ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت / ١٤٠٨ هـ) ، ٤ / ٣٤١ .
- ١٠- ابن كثير : السيرة النبوية ، ٣ / ٥٦٥ .
- ١١- ينظر ابن أبي شيبه الكوفي : المصنف ، (تحقيق : سعيد اللحام ، ط ١ ، دار الفكر - بيروت ، ١٤٠٩ هـ) ، ٨ / ٥٣٥ . وينظر ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، (ط ٢ ، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ، د . ت) ، ٨ / ٩ - ١٠ ؛ المتقي الهندي :

إمان رسول (الله ص) للأهالي مكة يوم الفتح (وراسة في اشكالية واد ابوسفيان)
أ.و. رحيم جلدو محمد البهاولي

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، (تحقيق : الشيخ بكري حياني ، والشيخ صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) ، ١٠ / ٥٢٨ .
- ١٢- اليعقوبي : تاريخ / ٢ / ٦٠ .
- ١٣- ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، (تحقيق : علي شيري ، دار الفكر . بيروت ، ١٤١٥ هـ) ، ٢٩ / ٢٨ .
- ١٤- ينظر اليعقوبي : تاريخ ، ٢ / ٦٠ .
- ١٥- ينظر الطبرسي : اعلام الوري بأعلام الهدى ، (ط ١ ، مؤسسة ال البيت - قم المقدسة ، ١٤١٧ هـ) ، ١ / ٢٢٤ - ٢٢٥ .
- ١٦- ينظر مثلا النسائي : السنن الكبرى ، (تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ، وسيد كسروي حسن ، ط ١ ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م) ، ٢ / ٣٠٣ ؛ أبو يعلى الموصلي : مسند أبو يعلى ، (تحقيق : حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث - دمشق ، د . ت) ، ٢ / ١٠١ ؛ ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، (تحقيق : الشيخ عادل احمد عبد الموجود ، ط ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت / ١٤١٥ هـ) ، ٤ / ٩٤ - ٩٥ ؛ فتح الباري ، ١١ / ٨ .
- ١٧- الحاكم النيسابوري : المستدرک على الصحيحين ، (تحقيق : د. يوسف المرعشلي ، دار المعرفة - بيروت ، ١٤٠٦ هـ) ، ٣ / ١٠٠ .
- ١٨- ينظر ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، (نشر اسماعيليان . طهران / د.ت) ، ٣ / ١٧٣ ؛ ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، ٤ / ٩٤ .
- ١٩- ينظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ، (دار صادر . بيروت / د . ت) ، ٢ / ١٣٥ ؛ المزني : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، (تحقيق : د. بشار عواد معروف ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م) ، ٧ / ١٨٤ .
- ٢٠- اليعقوبي : تاريخ ، ٢ / ٥٨ - ٥٩ .
- ٢١- العقيلي : الضعفاء ، (ط ٢ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٨ هـ) ، ١ / ٢٥٨ .
- ٢٢- الدار قطني : العلل ، (ط ١ ، دار طيبة - الرياض ، ١٩٨٥) ، ٩ / ٥٣ .
- ٢٣- ابن كثير : السيرة النبوية ، ٣ / ٥٥٢ .

- ٢٤- اليعقوبي : تاريخ ، ٢ / ٥٨ - ٥٩ .
- ٢٥- ينظر الصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، (تحقيق : الشيخ عادل احمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، ط ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) ، ٤ / ٤٩ - ٥٠ .
- ٢٦- المجلسي : بحار الانوار ، (مؤسسة الوفاء - بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ، ٢١ / ١٢٧ - ١٢٨ . وينظر ايضا ابن شهر اشوب : مناقب ال ابي طالب ، (تحقيق : لجنة من أساتذة النجف الاشرف ، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف ، ١٩٥٦ م) ، ١ / ١٧٨ .
- ٢٧- ياقوت الحموي: معجم البلدان، (دار إحياء التراث العربي . بيروت / د . ت) ، ١ / ٧٩ .
- ٢٨- محيي الدين النووي : المجموع ، (دار الفكر - بيروت) ، ١٨ / ٢٢٨ .
- ٢٩- الطبري: ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، (مكتبة القدسي - القاهرة ، ١٣٥٦ هـ) ، ص ٢٤١ .
- ٣٠- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ٤ / ٤٩ - ٥٠ .
- ٣١- القاضي النعمان : شرح الاخبار في فضائل الأئمة الأطهار (ع) ، (تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلاي ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدسة ، د . ت) ، ٣ / ٢١٨ .
- ٣٢- ينظر ابن الاثير: اسد الغابة ٥ / ٢١٣؛ ابن حجر: الاصابة ٦ / ١٥٥ .
- ٣٣- الطبري: ذخائر العقبى ، ١٩٧ - ١٩٨ .
- ٣٤- المفيد : الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، (تحقيق: مؤسسة آل البيت ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت) ، ١ / ١٤١ .
- ٣٥- الذهبي: سير أعلام النبلاء، (تحقيق: نخبة من الباحثين ، ط ٩ ، مؤسسة الرسالة. بيروت ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) ، ١ / ٢٠٣ .
- ٣٦- ابن حبان: مشاهير علماء الامصار، (تحقيق : مرزوق علي إبراهيم ، ط ١ ، دار الوفاء - مصر ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م) ، ص ٤٤ .